تأثير الغلاة على الإسماعيلية[1]

مهدي أكبري[2]
محمد حسين نصيري[3]

الملخّص

لم يبقَ من الفرق الشيعية المذكورة في التاريخ سوى ثلاث فرقٍ هي: الإمامية والإسماعيلية والزيدية. ويمكن التعرّف إلى هذه الفرق بواسطة دراسة أسباب نشأتها؛ إذ إنّ ذلك يكشف النقاب عن منشإ أفكارها وعقائدها المتنوّعة. ومن بين هذه الفرق، الإسماعيلية التي نشأت بعد الإمام الصادق عليه السلام بدعوى إمامة ولده الأكبر إسماعيل بن جعفر الذي تُوفّي في حياة أبيه عليه السلام. ويُستفاد من إطلاق دعوى تشكيل هذه الفرقة والإصرار على إيجادها بعد موت إسماعيل وجودُ حركةٍ نشطة ذات أهداف خاصّةٍ داخل المجتمع الشيعي. والبحثُ في هذا المجال يقودنا إلى حركة الغلوّ وزعمائها، كأبي الخطاب الذي كان يؤمن بأفكار متطرّفة، وكان يعدّ من الغلاة في عصر الإمام الصادق عليه السلام وقبلَه أيضاً، وقد تصدّى الأئمة من أهل البيت عليهم السلام لهؤلاء الأشخاص وأبعدوهم عن الجسد الشيعي؛ لكنّهم لم يتخلّوا عن أفكارهم، واستنهضوا محمد بن إسماعيل، وواصلوا ادّعاءهم الزائف وقولهم بإمامة إسماعيل ومن بعده ولده محمد. ويتبيّن من دراسة عقائد الإسماعيلية وفكر الغلاة وجود علاقة وثيقةٍ بينهما.

الكلمات المفتاحية: الإسماعيليون، الغلاة، الغلوّ، الدولة العباسية.

---

١. تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٠٨/١١م؛ تاريخ القبول: ٢٠٢٣/١٢/١٦م.

٢. طالب في حوزة قم العلمية، وباحث في مركز دراسات الإمامة والولاية: m.akbarikelishdi@gmail.com

٣. أستاذ السطوح العليا، وخريج السطح الرابع في حوزة قم العلمية.
Mohhosnasiri@gmail.com

تمهيد

الإسماعيلية من الفرق التي تشكّلت بعد اختلافها مع سائر الشيعة والمحسوبين على أهل البيت عليهم السلام على خلافة الإمام الصادق عليه السلام. وكان إسماعيل الابن الأكبر للإمام الصادق عليه السلام، وقد مات في حياة أبيه في سنٍّ مبكّرة،[1] وبعد وفاته بسنوات عدّة ادّعت فئة أنّه الإمام الذي أعطي منصبَ الإمامة، ولا يمكن أن تنتقل إلى غيره، بل هي باقية في نسله.[2] والسؤال المهم الذي يتبادر إلى الذهن هو: كيف يمكن ادّعاء إمامة إسماعيل واستمرار إمامته بعد موته؟ ومع قبول المجتمع الشيعي بإمامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، من الذي كان يقف وراء هذه الحركة ويقودها ويقدّم لها الدّعم؟

على الرغم من أنّ المصادر الشيعية والإسماعيلية لم تزوّدنا بالمعلومات الكافية عن تلك الحقبة، يُستفاد من قراءة ما بين سطور الروايات الواردة حول الفترة المذكورة أنّ ثمّة دوراً للغلاة في قيادة هذه الحركة، حيث يمكن الإحساس بوجود علاقة وثيقةٍ بين الغلاة والإسماعيلية إثر دراسة آراء الفرقة الإسماعيلية.

وكيف كان، فالهدف من هذه الدراسة هو إبراز دور الغلاة في نشأة الفرقة الإسماعيلية وتأثيرهم في قيادتها، وإثبات أنّ الغلاة لم يتراجعوا عن غلوّهم في الاعتقاد على الرغم من زجر أئمة التشيع عليهم السلام وطردهم إيّاهم من المجتمع الشيعي، وأنّهم حافظوا على بقائهم في المجتمع الشيعي، وتابعوا العمل على استقطاب الضعفاء وخداعهم بصورة سريّة أحياناً.

١. عوامل نشأة الإسماعيلية

بغية إيضاح هذه المسألة ومعرفة كيف نشأت الفرقة الإسماعيلية، وكيف بقيت محافظة على وجودها، لا بدّ لنا من دراسة الأجواء الفكرية التي كانت سائدة في عصر الإمام الصادق عليه السلام والتعرف إلى الحركات والمذاهب الفكرية التي كانت حيّة

١. الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، ٧١/١- ٧٤.

٢. ورد في مصادر عدّة عدم المعرفة بالإسماعيلية إلى قيام الدولة الفاطمية (ينظر: دفتري، فرهاد، تاريخ و عقايد اسماعيليه، ص ١٢١- ١٢٢.)

وناشطة آنذاك؛ لنصل إلى العوامل التي ساعدت على تكوّن هذه الفرقة.

وقبل الخوض في هذا الأمر، ينبغي الالتفات إلى نقطة هامة، هي أنّ إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام مات في حياة أبيه، حسبما أفادت روايات صحيحة السند ذكرها الشيخ الصدوق،[1] حتى إنّ الإسماعيلية أنفسهم لا ينكرون ذلك بحسب مصادرهم المتوافرة.[2] وعلى هذا الأساس، ينتفي فرض وجودِ نصٍّ على إسماعيل وإمامته أساساً؛ لأنّ مفهوم الخلافة في الإمامة يتوقّف على بقاء الخليفة حيّاً بعد وفاة سلفه؛ وإلا فلا معنى لخلافة الخلف الميت السلف الحيّ، ويكون النصُّ على خلافته فكرة متهافتة.[3] وقد ألفت الشيخ المفيد إلى هذا الأمر وأشار إليه.[4]

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا بقوة هو: لماذا أثير مثل هذا الادّعاء واستمرّت الإشارة إليه من دون دليل كافٍ؟ تعود جذور هذا الموضوع إلى عصر الإمام الصادق عليه السلام، ويمكن إرجاع ظهور هذه الفرقة إلى عوامل عديدة، أهمّها تيار الغلوّ والمغالين.[5] وسنشير في ما يأتي إلى بعض هذه العوامل.

٢. دولة العباسيّين وأجواء الرّعب

كان المجتمع الشيعي في عصر حضور الأئمة الميامين عليهم السلام يعاني من أنواع مختلفة من الضغوط والقمع والترويع التي أثارها حكّام الجور، ومن الصحيح أنّ هذا الوضع

---

١. الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، ١/٧١-٧٤.

٢. الكرماني، حميد الدين، المصابيح، ص ٩٧؛ المغربي، نعمان بن محمد، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، ٣/٣٠٩؛ دفتري، فرهاد، تاريخ و عقايد اسماعيليه، ص ١١٢؛ تامر، عارف، الإمامة في الإسلام، ص ١٠٢؛ القرشي، الداعي، زهر المعاني، ص ١٩٩.

٣. إنّ ادّعاء عبد الله الأفطح للإمامة بعد الإمام الصادق عليه السلام من باب كونه أكبر أبنائه الأحياء (حيث إنّ إسماعيل أكبر من عبد الله)، وموت أبي الخطاب سنة ١٣٨هـ، ورجوع أبي الخطاب قبل موته وبعد موت إسماعيل إلى الإيمان بالإمام الصادق عليه السلام، يؤيد موت إسماعيل قبل أبيه الإمام الصادق عليه السلام وقبل سنة ١٣٨هـ، وقد ذهب ابن عنبة في «عمدة الطالب» إلى موت إسماعيل سنة ١٣٣ من الهجرة.

٤. المفيد، محمد بن محمد، الفصول المختارة، ص ٣٠٨.

٥. لمزيد من الاطلاع على الحركات والجماعات الموجودة في عصر الأئمة عليهم السلام، ينظر: كاظمي، روح الله، تحير شيعيان در شناخت امام و نقش تقيه در آن.

لم يكن على وتيرة واحدة شدّة وضعفاً، تبعاً لاختلاف الظروف والأوضاع السائدة؛ لكنّ هذه الأجواء لم ترتفع بصورة تامّة مطلقاً. وفي مواجهة هذه الأوضاع العصيبة، ابتكر الأئمة عليهم السلام التقية وسيلةً للحفاظ على أرواح الشيعة، وعلّموها لأتباعهم في المجتمع الشيعي.[1] فقد روى الكشي عن محمد بن سالم:

جعفر بن محمد، قال: حدثني الحسن بن علي بن النعمان، قال: حدثني أبو يحيى، عن هشام بن سالم، قال: «كنّا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام، أنا ومؤمن الطاق أبو جعفر، قال: والناس مجتمعون على أنّ عبد الله [الأفطح] صاحب الأمر بعد أبيه، فدخلنا عليه أنا وصاحب الطاق والناس مجتمعون عند عبد الله، وذلك أنّهم رووا عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ الأمر في الكبير ما لم يكن به عاهة. فدخلنا نسأله عمّا كنّا نسأل عنه أباه، فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟ قال: في مئتين خمسة، قلنا: ففي مئة؟ قال: درهمان ونصف درهم، قال: قلنا له: والله ما تقول المرجئة هذا، فرفع يديه إلى السماء، فقال: لا والله ما أدري ما تقول المرجئة.

قال: فخرجنا من عنده ضلّالاً لا ندري إلى أين نتوجه أنا وأبو جعفر الأحول، فقعدنا في بعض أزقّة المدينة باكين حيارى لا ندري إلى من نقصد وإلى من نتوجّه، نقول: إلى المرجئة، إلى القدرية، إلى الزيدية، إلى المعتزلة، إلى الخوارج. قال: فنحن كذلك إذ رأيتُ رجلاً شيخاً لا أعرفه يومي إليّ بيده، فخِفتُ أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر [المنصور الدوانيقي]، وذاك أنّه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون على من اتفق شيعة جعفر فيضربون عنقه، فخفتُ أن يكون منهم.

فقلت لأبي جعفر: تنحَّ فإنّي خائف على نفسي وعليك، وإنّما يريدني ليس يريدك، فتنحَّ عنّي لا تهلك وتعينَ على نفسك، فتنحّى غير بعيد وتبعتُ الشيخ، وذاك أنّي ظننتُ أنّي لا أقدر على التخلّص منه. فما زلت أتبعه حتى ورد بي على باب أبي الحسن موسى عليه السلام، ثم خلّاني ومضى،

١. ورد في هذا الخصوص عن الأئمة المعصومين عليهم السلام قولهم: «التقية من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له» (الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢١٩/٢).

فإذا خادمٌ بالباب فقال لي: ادخلْ رحمكَ الله! قال: فدخلتُ فإذا أبو الحسن عليه السلام، فقال لي ابتداءً: «لا إلى المرجئة، ولا إلى القدرية، ولا إلى الزيدية، ولا إلى الخوارج، إليّ إليّ إليّ». قال: فقلت له: جُعلتُ فداك مضى أبوك؟ قال: نعم، قال: قلت: جُعِلتُ فداك مضى في موت؟ قال: نعم،[1] قلتُ: جُعِلت فداك فمن لنا بعده؟ فقال: «إن شاء الله يهديك هداك»، قلت: جُعِلتُ فداك إنّ عبد الله [الأفطح] يزعم أنّه من بعد أبيه، فقال: «يريد عبد الله أن لا يُعبَد الله»، قال: قلتُ له: جُعِلت فداك فمن لنا من بعده؟ فقال: «إن شاء الله أن يهديك هداك أيضاً». قلت: جُعِلتُ فداك أنت هو؟ قال: «ما أقول ذلك»، قلت في نفسي: لم أصِب طريقَ المسألة، قال: قلت: جُعلتُ فداك عليك إمام، قال: لا، فدخلني شيء لا يعلمه إلا الله إعظاماً له وهيبةً أكثر ما كان يحلّ بي من أبيه إذا دخلت عليه. قلتُ: جُعلت فداك أسألك عمّا كان يُسأل أبوك؟ قال: «سل تُخبَر ولا تُذِع، فإن أذعتَ فهو الذبح»، قال: فسألتُه فإذا هو بحرٌ، قال: قلتُ: جُعِلتُ فداك شيعتك وشيعة أبيك ضلّال فألقي إليهم وأدعوهم إليك فقد أخذت عليّ بالكتمان؟ قال: «من آنستَ منهم رشداً فألقِ إليهم وخُذْ عليهم بالكتمان، فإن أذاعوا فهو الذبح»، وأشار بيده إلى حلقه. قال: فخرجتُ من عنده فلقيتُ أبا جعفر، فقال لي: ما وراك؟ قال: قلت: الهدى، قال: فحدَّثتُه بالقصة، قال: ثم لقيتُ المفضّل بن عمر وأبا بصير، قال: فدخلوا عليه، فسمعوا كلامَه وسألوه، قال: ثم قطعوا عليه عليه السلام، ثم قال: ثم لقينا الناس أفواجاً، قال: فكان كلّ من دخل عليه قطَع عليه إلا طائفة مثل عمّار وأصحابه، فبقي عبد الله [الأفطح] لا يدخل عليه أحدٌ إلا قليلٌ من الناس. قال: فلمّا رأى ذلك وسأل عن حال الناس، قال: فأُخبِر أنّ هشام بن سالم صدّ عنه الناسَ، قال: فقال هشام: فأقعد لي بالمدينة غير واحد ليضربوني.[2]

١. يبدو أنّ تكرار هذا الرجل للسؤال عن موت الإمام الصادق عليه السلام إنّما هو لأجل الاطمئنان؛ لأنّ بعض الناس أنكروا موته وادعوا غيبته.

٢. الكشي، محمد بن عمر، اختيار معرفة الرجال، ٥٦٥/٢- ٥٦٧؛ وروي هذا الحديث في مصادر أخرى أيضاً،

تبين هذه الرواية طبيعة أجواء الخوف والرعب التي كانت تسود المجتمع، وتكشف أنّ الأئمة عليهم السلام لم يكونوا قادرين على الإعلان عمّن يخلفهم وكانوا يوصون أتباعَهم بالكتمان؛ حذراً مما قد يترتب على ذلك من مخاطر على أرواحهم، فكانوا لا يذكرون حقيقة الأمر إلّا إلى الخواصّ من الشيعة والأفراد الموثوقين والباحثين عن الحقيقة فقط، ويطلبون منهم عدمَ البوح بهذه الأسرار إلا لمن يطمئنّون إليه. وفي مثل هذه الأجواء، برَز بعض طلاب المناصب من أمثال أبي الخطاب وأطلقوا ادعاءاتهم الزّائفة لخداع الضعفاء عقائديّاً والترؤّس عليهم.

٣. الإسماعيلية وتيار الغلوّ

بعدَ دراسة الفرق والجماعات الموجودة في عصر الإمام الصادق عليه السلام ، يمكن الكشف عن عوامِل مختلفة أدّت إلى نشأة فرقة الإسماعيلية، أهمّها تيّار الغلوّ.[١] وسنسلّط الضّوء هنا على وجود الغلاة وأفكارهم وسلوكهم ووطبيعة علاقتهم بالإسماعيلية، مضافاً إلى موقف أئمة التشيع عليهم السلام منهم.

وعلى الرغم من أنّ جذور الغلوّ تعود إلى ما قبل عصر الإمامين الصادق والباقر عليهما السلام ، لكنّ تيار الغلوّ انتعشَ في هذا العصر وبرز إلى الواجهة أكثر من ذي قبل بوجود أفرادٍ مثل المغيرة بن سعيد وأبي الخطاب. ويعدّ محمد بن مقلاص الأسدي الكوفي، المكنّى بأبي الخطاب، من أشهر الغلاة وأخطرهم في زمن الإمام الصادق عليه السلام ، حيث تُنسب إليه فرق مختلفة مضافاً إلى فرقة الخطابية.[٢] ويُستفاد من بعض الروايات أنّ أصحابه كانوا منشرين في المجتمع الشيعي حتى زمن الغيبة الصغرى.[٣]

كان أبو الخطاب من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ؛ لكنّ أفكاره أخذت بالتغيّر

مثل: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٣٥١/١- ٣٥٢.

١. للمزيد من الاطلاع على الحركات والجماعات الموجودة في عصر الأئمة عليهم السلام ، ينظر: كاظمي، روح الله، تحير شيعيان در شناخت امام و نقش تقيه در آن.

٢. الأشعري، سعد بن عبدالله،المقالات والفرق، ص ٥٣ و ٥٦ و ٥٩ و ٦٠؛ الشهرستاني، محمد، الملل والنحل، ٢١٠/١- ٢١٢.

٣. الصدوق، محمد بن على، كمال الدين وتمام النعمة، ٤٨٤/٢ و ٤٨٥.

وبدأ يغلو في عقائده؛ ولذا كان موضع لعن الإمام عليه السلام والبراءة منه.[1]

بنى أبو الخطاب أفكارَه على نحوٍ من الغلوّ في شأن الأئمة الميامين عليهم السلام، خصوصاً الإمام الصادق عليه السلام، وما إن شرع في إظهار هذه الأفكار المتطرّفة حتى قوبل بمواجهةٍ شديدةٍ وموقفٍ حازم من الإمام الصادق عليه السلام. ومن أفكاره وعقائده، ادّعاؤه أنّ الإمام الصادق عليه السلام جعله قيّمَه ووصيَّه من بعده، وعلّمه الاسمَ الأعظمَ، ثم ادّعى لنفسه النبوّة ثم الرسالة لاحقاً.[2] وبعد ذلك زعم حلولَ روح الإله في النبيّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي وسائر الأئمة عليهم السلام، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، فما كان من الإمام الصادق عليه السلام إلا أن لعنه وطرده، وعندئذ ادّعى الألوهية وحلول الروح الإلهية فيه.[3] وبلغت به الغلوّ إلى أن ذهب إلى ألوهية الإمام الصادق عليه السلام، وأنّ الله تعالى إذا نزل إلى هذا العالَم نزل بصورة جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.[4] كما قال بوجوب الصيام في شهر شعبان مثل شهر رمضان، ومن أفطر فيه وجبت عليه الكفارة.[5] وكان يعتبر الصلاة والصوم وباقي الفرائض وكذلك الزنا والخمر وسائر والفواحش والمعاصي أسماء لأشخاص، وليست مجرّد تكاليف.[6] وأباح المحرمات وأسقط الفرائض والواجبات، وقال إنّ معرفة الإمام تستلزم التساهل وتحليل المحرّمات.[7]

أفادت رواياتٌ كثيرة أنّ الإمام الصادق عليه السلام تبرّأ من أبي الخطاب وأصحابه ولعنهم في مواضع عدّة،[8] كما إنّه لفت أنظار أصحابه إلى ضلاله وغوايته.[9] وكيف كان، فإنّ وجود الغلاة في زمن الأئمة عليهم السلام، والمخاطر التي كانوا يشكلونها بالنسبة إلى عقائد

١. الكشي، اختيار معرفة الرجال، ٥٧٥/٢– ٥٨٨؛ وانظر أيضاً: فرمانيان، مهدى، آشنايي با فرق تشيع، ص ١٤٩– ١٥٣.
٢. النوبختي، حسن بن موسى، فرق الشيعة، ص ٤٢– ٤٣؛ الأشعري، سعد بن عبدالله، المقالات والفرق، ٥١/١؛ البغدادي، عبد القاهر، الفرق بين الفرق، ص٢٤٢؛ الكشي، محمد بن عمر، اختيار معرفة الرجال، ٥٨٧/٢– ٥٨٨.
٣. البغدادي، عبدالقاهر، الفرق بين الفرق، ص ٢٤٢.
٤. الشهرستاني، محمد، الملل والنحل، ٢١٠/١– ٢١١.
٥. الحرّ العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة، ٤٩١/١٠.
٦. النوبختي، حسن بن موسى، فرق الشيعة، ص ٤٢– ٤٣.
٧. المغربي، نعمان، دعائم الإسلام، ٥٠/١.
٨. الصدوق، محمد بن على، معاني الأخبار، ص ٣٦٨.
٩. الطوسي، محمد بن حسن، تهذيب الأحكام، ٢٥٩/٢.

الناس من جهة، وتشويه صورة التشيّع ومنعِ نشر المعارف الشيعية الأصيلة من جهة أخرى، جعل الأئمة عليهم السلام يتخذون مواقف متشدّدة تجاه هؤلاء الغلاة، وقد تنوّعت تلك المواقف ما بين الإعلان عن البراءة منهم، والنهي عن مجالستهم، وفضحهم، ولعنهم، وتكفيرهم، وأخيراً قتلهم وتصفيتهم جسديّاً أحياناً[1].[2]

١. ينظر: فرمانيان، مهدي، آشنايي با فرق تشيع، الدرس التاسع عشر: تصدي الأئمة عليهم السلام للغلاة، ص ١٦٥- ١٧١؛ صفري فروشاني، نعمت الله، غاليان: كاوشي در جريانها و برآيندها تا پايان سده سوم؛ انبيائي، محسن، روش برخورد امامان معصوم با مدعيان دروغين در جامعه شيعي؛ حاجي زادة، يد الله، شخصيت غاليانه ابو الخطاب و واكاوي مواضع ائمه اطهار در برابر او و پيروانش.

٢. وهذه نماذج من هذه المواقف:

- إلى هنا؟؟؟؟التبرؤ من المغالين: روي عن مصادف قال: لما لبّى القوم الذين لبّوا بالكوفة دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فأخبرته بذلك فخرّ ساجداً وألزق جؤجؤه بالأرض وبكى، وأقبل يلوذ بإصبعه ويقول: «بل عبد الله قن داخر»، مراراً كثيرة، ثم رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته. فندمت على إخباري إياه، فقلت: جُعلت فداك وما عليك أنت من ذا؟ فقال: «يا مصادف! إنّ عيسى لو سكت عما قالت النصارى فيه لكان حقّاً على الله أن يصمّ سمعه ويعمي بصره، ولو سكتُّ عمّا قال أبو الخطاب لكان حقّاً على الله أن يصمّ سمعي ويعمي بصري» (الكشي، محمد بن عمر، اختيار معرفة الرجال، ص١٩٢- ١٩٣؛ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ٢٩٣/٢٥، ح ٥١).
- لعن المغالين: قال أبو عبد الله عليه السلام يوما لأصحابه: «لعن الله المغيرة بن سعيد، ولعن يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق. إنّ المغيرة كذب على أبي عليه السلام، فسلبه الله الإيمان، وإنّ قوماً كذبوا عليّ، مالهم أذاقهم الله حرّ الحديد، فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضرّ ولا نفع، وإن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا... أشهدكم أنّي امرؤ ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما معي براءة من الله، إن أطعته رحمني وإن عصيته عذبني عذاباً شديداً أو أشدّ عذابه» (الكشّي، محمد بن عمر، اختيار معرفة الرجال، ص ٢٢٥).

وجاء في رواية أخرى: عن يونس، قال: سمعت رجلاً من الطيارة يحدث أبا الحسن الرضا عليه السلام عن يونس بن ظبيان، أنّه قال: كنت في بعض الليالي وأنا في الطواف، فإذا نداء من فوق رأسي: يا يونس! ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، فرفعت رأسي فإذا ج. فغضب أبو الحسن عليه السلام غضباً لم يملك نفسه، ثم قال للرجل: «أخرج عنّي لعنك الله، ولعن من حدثك، ولعن يونس بن ظبيان ألف لعنة، يتبعها ألف لعنة، كلّ لعنة منها تبلغك قعر جهنم، أشهد ما ناداه إلا شيطان، أما أنّ يونس مع أبي الخطاب في أشدّ العذاب مقرونان، وأصحابهما إلى ذلك الشيطان مع فرعون وآل فرعون في أشدّ العذاب، سمعت ذلك من أبي عليه السلام». قال يونس: فقام الرجل من عنده، فما بلغ الباب إلا عشر خطا حتى صُرع مغشيّاً عليه، وقد قاء رجيعه، وحُمل ميتاً. فقال أبو الحسن عليه السلام: «أتاه ملك بيده عمود فضرب على هامته ضربة قلب فيها مثانته، حتى قاء رجيعه وعجّل الله بروحه إلى الهاوية، وألحقه بصاحبه الذي حدثه، بيونس بن ظبيان، ورأى الشيطان الذي كان يترائى له» (الكشّي، محمد بن عمر، اختيار معرفة الرجال، ص ٣٦٣- ٣٦٤).

وقد أكّدت مصادر كثيرة ، وبينها مصادر إسماعيلية، وجودَ علاقة بين أبي الخطاب وأتباعه من جهة وبين إسماعيل بن جعفر من جهة ثانية، وأُشِير فيها إلى دعوة أبي الخطاب إلى إمامة إسماعيل. من هنا، ذهب سعد بن عبد الله الأشعري والنوبختي إلى أنّ الإسماعيلية الخالصة هي الخطابية، وقد دخلت منهم فرقة في فرقة محمد بن إسماعيل، وأقرّوا بموت إسماعيل بن جعفر في حياة أبيه.[1] قال أبو حاتم الرازي في هذا الصدد:

> نُسِبوا إلى أبي الخطاب، وكان يقول بإمامة إسماعيل بن جعفر في حياة أبيه جعفر، فلما مات إسماعيل رجعوا إلى القول بإمامة جعفر.[2]

وأضاف:

> وخرجت فرقة منهم إلى القول بإمامة محمد بن إسماعيل بعد أبيه إسماعيل، وزعموا أنّ أبا الخطاب أمرهم بذلك ودلّهم عليه.[3]

بدوره، عالج المؤرّخ الإنجليزي برنارد لويس[4] هذا الموضوع أيضاً وتتبّعه في مصادر

- النهي عن مجالسة المغالين: قال الصادق عليه السلام: «احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم؛ فإنّ الغلاة شرّ خلق الله، يصغّرون عظمة الله، ويدّعون الربوبية لعباد الله، والله إنّ الغلاة لشرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا» (المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ٢٦٥/٣٥، ح٦).
- قتل الغلاة: كان فارس بن حاتم القزويني من أخطر الغلاة في عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام، يدعو إلى البدعة ويفتن الناس عن دينهم؛ ولذا أهدر الإمام العسكري عليه السلام دمه وأمر بقتله، وضمن لمن يقتله الجنة، فقتله أحد أصحاب الإمام واسمه جنيد (الكشّي، محمد بن عمر، اختيار معرفة الرجال، ص ٣٢٥).

١. الأشعري، سعد بن عبدالله، المقالات والفرق، ص ٨١؛ النوبختي، حسن بن موسى، فرق الشيعة، ص ٦٩؛ أكبر، ناشئ، مسائل الإمامة، ص ٢٠٣.

٢. الرازي، احمد بن حمدان، الزينة، ٥٣٠/١.

٣. المصدر نفسه، ص ٥٣١.

٤. (Bernard Lewis) (١٩١٦– ٢٠١٨م) هو مفكر إنجليزي معاصر وأستاذ متقاعد في مجال دراسات الشرق الأدنى في جامعة برينستون، ولد في لندن لأبوين يهوديين، وتخصص في تاريخ الإسلام والتفاعل بين الإسلام والغرب، ويعدّ أحد أبرز المستشرقين الغربيين، وله كتاب «أصول الإسماعيلية»، مضافاً إلى دراسات وكتب أخرى مفيدة في هذا المجال، أبرزها رسالته في الدكتوراه التي حصل عليها من جامعة لندن. وخلافاً للآخرين، ذهب هذا المفكر إلى أنّ الإسماعيلية فرقة عربية التحق بها الموالي، بما فيهم الإيرانيون والآراميون، وأدخلوا إليها العقائد المسيحية والإيرانية والبابلية القديمة (ينظر: موقع فرارو الإلكتروني (fararu.com)، مقال: برنارد لويس مؤرخي كه از تاريخ سلاح ساخت).

متنوّعة، وأثبت وجودَ ارتباط بين إسماعيل والفرقة الخطابية، واضطلاع هذه الفرقة بدورٍ في تشكيل فرقة الإسماعيلية،[1] وقال: ذُكر اسم أبي الخطاب باعتباره المؤسِّس للإسماعيلية في أكثر من واحدٍ من مصادر هذه الفرقة مثل «أمّ الكتاب» الذي يُعدّ من الكتب السرّية والمقدسة لهذه الفرقة في آسيا المركزية. كما يمكن العثور على أقوال وعقائد مشابهة في مؤلفات النُّصَيريين التي بحثها المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون،[2] حيث اعتُبر أبو الخطاب في هذه المؤلفات مؤسِّساً لفرقة الإسماعيلية وميمون القدّاح[3] أحد تلاميذه، ونسبت إليه أغلب العقائد المعروفة لهذه الفرقة.[4]

وقد كشفت بعض الأخبار عن وجود علاقة بين إسماعيل وأبي الخطاب،[5] وتحدّثت مصادر أخرى عن علاقة الفرقة الإسماعيلية بعبد الله بن ميمون القدّاح، فذكر ابن النديم أنّ القدّاح مؤسس الفرقة الإسماعيلية كان هو وأبوه من أتباع أبي الخطاب.[6]

وحيث إنّ أغلب شيعة الإمام الصادق عليه السلام آمنوا بإمامة موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

١. ينظر: لويس، برنارد، أصول الإسماعيلية، ص ٤١- ٤٦.

٢. (Louis Massignon) (١٨٨٣- ١٩٦٣م) باحث ومستشرق فرنسي شهير، له بحوث ومقالات حول القرامطة ومؤلفاتهم، وردت خلاصاتها في سياق مقالة في دائرة المعارف الإسلامية. وقد أبدى المستشرق ماسينيون في دراساته حول الإسماعيلية اهتماماً كبيراً بمصادر الشيعة الإمامية، فكان أول المستشرقين الذين أشاروا إلى أهمية هذه المصادر.

٣. إنّ نسبة الغلوّ إلى بعض الشخصيات، وكذا تأكيد بعض المصادر- سيما مصادر الإسماعيلية- على علاقة بعض الشخصيات بالفرقة الإسماعيلية، بحاجة إلى مزيد من الدقة والتأمل في ضوء الأجواء السائدة في ذلك العصر والروايات المختلفة والمتناقضة، وهذا يفرض لزوم إجراء دراسة جديدة وواسعة في هذا الصدد. وكمثال على ذلك، يمكن الإشارة إلى الحديث عن علاقة ميمون القدّاح وابنه عبد الله بالإسماعيلية، حيث يستفاد من كثير من الشواهد أنّهما من الشيعة الإمامية الموثوقين الذين رووا عن الإمام الصادق عليه السلام، ولا يوجد ما يدلّ على كونهما من غلاة الشيعة أو من أصحاب إسماعيل بن جعفر في أيّ مصدر من مصادر الإمامية أو كتب الرجال والملل والنحل لأهل السنة. وأفادت بعض الدراسات الحديثة في مصادر الإسماعيلية أنّ ميمون القدّاح هو لقب محمد بن إسماعيل، وهو مغاير لميمون القدّاح غير العلوي الذي هو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام (ينظر: عظيم زادة طهراني، طاهرة، عبد الله بن ميمون القداح؛ داود إلهامي، دراسة شاملة حول ميمون القدّاح وولده عبد الله).

٤. لويس، برنارد، أصول الإسماعيلية، ص ٤٤.

٥. الكشي، محمد بن عمر، اختيار معرفة الرجال، ٦١٢/٢.

٦. ابن النديم، محمد بن اسحاق، فهرست ابن النديم، ص ٢٦٤.

بعد موت أبيه، يبدو أنّه لا أحد سوى الخطّابية والغلاة عمل على تشكيل فرقة الإسماعيلية. من هنا، قال الشيخ المفيد:

لما مات إسماعيل رضي الله عنه انصرف عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظنّ ذلك فيعتقده من أصحاب أبيه عليه السلام، وأقام على حياتِه شرذمة لم تكن من خاصّة أبيه ولا من الرواة عنه، وكانوا من الأباعد والأطراف.[1]

كما إنّ النوبختي ذكر أنّ الإسماعيلية هم الخطابية، وأضاف:

دخلت منهم فرقةٌ في فرقة محمد بن إسماعيل وأقرّوا بموت إسماعيل بن جعفر في حياة أبيه.[2]

وقال برنارد لويس أيضاً:

بعد موت أبي الخطاب، بايع أصحابُه محمّداً بن إسماعيل، حفيد الإمام الصادق عليه السلام؛ وبهذا اتّحدت الخطابية والإسماعيلية من ناحية عملية.[3]

وقال المحدّث النوري في هذا المجال:

... لأنك تجد في كتب الرجال لكثير من الفرق الباطلة- كالزيدية التي هم أبعد الفرق عن الإمامية، والناووسية والواقفية والفطحية- علماء فقهاء ثقات، قد أكثروا من التأليف والرواية وجمع الأحاديث وتدوينها، وتلقّوها عنهم أصحابنا بالرواية والقبول، ولا تجد في جميع الرواة رجلاً إسماعيليّاً، وإن كان ضعيفاً، فضلاً عن كونه ثقةً أو فقيهاً أو مؤلّفاً. ومنه يظهر أنّهم كانوا في أول الأمر خارجين عن حدود الشرايع، وحفظ الأخبار وروايتها وتدوينها، غير معدودين من الرواة العلماء.[4]

---

١. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد، ٢١٠/٢؛ وانظر كذلك: الطبرسي، فضل بن حسن، إعلام الورى بأعلام الهدى، ٥٤٧/١ (طبعة حديثة).

٢. النوبختي، حسن بن موسى، فرق الشيعة، ص ٦٩؛ وانظر كذلك: الرازي، احمد بن حمدان، الزينة، ٥٣١/١.

٣. لويس، برنارد، أصول الإسماعيلية، ص ٤١؛ وانظر كذلك: دفتري، فرهاد، تاريخ و عقايد اسماعيليه، ص ١٠٦- ١٠٧.

٤. النوري، ميرزا حسين، مستدرك الوسائل، ١٤١/١٩.

الخاتمة

لقد حاولنا في هذه الدراسة الكشف عن العلاقة بين الغلاة وفرقة الإسماعيلية والكشف عن طبيعة الصّلات التي تربط بين الطرفين. ولما بحثنا حركة الغلوّ في عصر الإمام الصادق عليه السلام وقبله أيضاً، ورصدنا علاقة المغالين بإسماعيل بن جعفر ومن بعده ابنه محمد بن إسماعيل، توصّلنا إلى أنّه لا أحد سوى الغلاة قادرٌ على ادّعاء إمامة إسماعيل بن جعفر؛ ذلك أنّ أغلب شيعة الإمام الصادق عليه السلام في ضوء الأجواء الحاكمة على المجتمع الشيعي آمنوا بإمامة موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام بعد موت أبيه، وكان الغلاة وحدهم تعرضوا إلى الطرد من المجتمع الشيعي على يد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بسبب أفكارهم المنحرفة وعقائدهم الباطلة وغلوّهم.

وبطبيعة الحال كانوا بصدد إيجاد طريقة لتثبيت وجودهم وترسيخ عقائدهم لتعويض تلك الخسارة، فلم يجدوا سبيلاً أفضل من استغلال عنوان الولد الأكبر للإمام الصادق عليه السلام، باعتبار أنّ بعضَ الشيعة كانوا يظنّون أنّ الابن الأكبر هو الذي يخلف أباه في الإمامة حصراً. ويُستكشف من عقائد الإسماعيلية وأفكارهم عمقَ العلاقة بينهم وبين الغلاة. فعلى سبيل المثال، الإباحية والتأويلات غير الصحيحة في التعاليم الدينية تنهل من فكر الغلاة، بحيث يمكن مشاهدة صورة الغلوّ في أفكار الإسماعيلية بمنتهى الوضوح.

■ ■ ■

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. ابن النديم، محمد بن إسحاق، فهرست ابن النديم، لبنان، بيروت: دار المعرفة، الطبعة الأولى، [د.ت].

٣. الأشعري القمي، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق، طهران: مركز النشر العلمي والثقافي، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.

٤. أكبر، ناشئ، مسائل الإمامة، إيران، قم: مركز دراسات وبحوث الأديان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٥. البغدادي، عبد القاهر، الفرق بين الفرق، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٨هـ.

٦. تامر، عارف، الإمامة في الإسلام، لبنان، بيروت: دار الأضواء، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٧. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٨. دفتري، فرهاد، تاريخ و عقايد اسماعيليه/ تاريخ الإسماعيلية وعقائدها، ترجمه إلى الفارسية: فريدون بدره اي، طهران: دار نشر فرزان روز، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٧م.

٩. الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان، الزينة في الكلمات العربية والإسلامية، تحقيق: سعيد الغانمي، لبنان، بيروت: منشورات الجمل، الطبعة الأولى، ٢٠١٥هـ.

١٠. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: محمد بدارن، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

١١. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، طهران: مركز أهل الذكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.

١٢. ــــــــــــ، معاني الأخبار، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٣. الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى (طبعة قديمة)، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٩٠هـ.

١٤. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان،

طهران: دار الكتب الاسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.
١٥. عظيم زادة طهراني، طاهرة، «عبد الله بن ميمون القدّاح»، مجلة مشكوة، العدد ٧٩، شتاء ٢٠٠٨م.
١٦. فرمانيان، مهدي، آشنايي با فرق تشيع، قم: مركز ادارة الحوزة العلمية في قم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
١٧. القرشي، الداعي إدريس عماد الدين، زهر المعاني، تحقيق: مصطفى غالب، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
١٨. الكرماني، حميد الدين أحمد بن عبد الله، المصابيح، تحقيق: مصطفى غالب، لبنان، بيروت: دار المنتظر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
١٩. الكشي، محمد بن عمر، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشّي (مع تعليقات مرداماد الأسترآبادي)، إيران، قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
٢٠. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، طهران: المطبعة الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.
٢١. لويس، برنارد، تاريخ اسماعيليان/ أصول الإسماعيلية، ترجمه إلى الفارسية: فريدون بدره اي، طهران: منشورات طوس، ١٩٨٣م.
٢٢. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
٢٣. المغربي، القاضي النعمان بن محمد، دعائم الإسلام، إيران، قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الرابعة، ١٣٨٥هـ.
٢٤. ـــــــــــــ، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، قم: مركز النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٢٥. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
٢٦. ـــــــــــــ، الفصول المختارة، قم: دار المفيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٢٧. النوبختي، حسن بن موسى، فرق الشيعة، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.